

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، سيد الخلق
محمد وعلى آله المعصومين، سفن النجاة وهداة الخلق...
أما بعد...

فيعدُّ علم الكلام من أهمِّ العلوم الإسلامية وأشرفها، إذ يبحث في العقائد
الإسلامية في ضوء البرهان والدليل العقلي، وهو الوسيلة الفعَّالة للدفاع عن
العقائد الإسلامية الحقَّة، وردَّ شبهات المعاندين وتفنيدها ونقضها.

وقد كان للمدرسة الحليَّة منذ القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين دورٌ
كبيرٌ في إنضاج هذا العلم وتطويره ونشره، فقد اهتم علماء هذه المدينة الأجلَّاء
به اهتماماً كبيراً، وألَّفوا فيه المتونَ والشروح أمثال الحسن بن يوسف ابن المطهر
العلَّامة الحليِّ (٧٢٦هـ)، وولده فخر المحقِّقين (ت ٧٧١هـ)، والفاضل المقداد
السيوريِّ (ت ٨٢٦هـ).

ولعلَّ من أبرز الأسباب التي دعت إلى تطور هذا العلم ونضوجه في الحلة
آنذاك الانفتاح العلمي لهذه المدينة المعطاء، فلم تكن مدرسة الحلة مدرسة
مغلقة على فكر واحد أو مذهب واحد، بل كانت - كما هو حال المجتمع
الحليِّ - مدرسة منفتحة على المذاهب الإسلامية وغيرها مناقشةً وقبولاً ورداً،
وهو واضح من خلال دراسة سير علمائها وفضلائها الذين باحثوا علماء الفرق
الأخرى وناظروهم وأخذوا عنهم ودرَّسوهم.

ومن دواعي الغبطة لمركز العلامة الحليّ رحمته الله أن يقدم للقراء والباحثين سفراً من أسفار تلك المدرسة المباركة في علم الكلام لعلم جليل من أعلامها هو أبو طالب محمد بن جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر الحليّ ولد العلامة الحلي رضوان الله عليهما؛ ليميط اللثام عن جزء من جهود علمائها في هذا العلم الشريف. فكتاب (تحصيل النجاة في أصول الدين) من مؤلفات فخر المحققين الكلامية التي لا تكشف فقط عن تفكيره وآرائه الكلامية، بل عن الفكر الكلامي في مدرسة الحلة مجتمعةً. فضلاً عن أن لهذا الكتاب أهمية خاصة، وهي أنه أول كتاب كلامي يُطبع من آثار فخر المحققين الكلامية التي لا تكون شرحاً لآثر آخر، بل هو كتابٌ مؤلَّفٌ بشكلٍ مستقلٍّ، مشتملٌ على أمّات مسائل علم الكلام، وأن إصداره يهبُ العلماء والباحثين مجالاً أوسع لدراسة آرائه الخاصة في علم الكلام.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بوافر الشكر والامتنان لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ (دام عزّه)؛ لما يقوم به سماحته من أعمالٍ جليّةٍ ومهام كبيرة، فجزاه الله (جلّ جلاله) خير جزاء المحسنين، وكذلك سماحة الأمين العام السيد جعفر الموسويّ (دام توفيقه)، والأخوة في وحدة التحقيق لما بذلوه من جهدٍ في مراجعة الكتاب ضبطه، وكلّ مَنْ له يد في خدمة تراثنا الإسلاميّ الرصين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز العلامة الحليّ
إحياء التراث بحوزة النخلة العلميّة
الحلة المستنصرية



مقدمة التحقيق



تمهيد

يعتبر علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية التي أخذت شكلها مبكراً بين المسلمين وأشرفها. ومنذ البداية كان للشيعة دور هام في تشكّل هذا العلم وتطوّره. وقد مرّ تاريخه عندهم بعدة مراحل زمنيّة، وكان لتكلمهم نقاط نشاط مركزيّة في كلّ مرحلة من هذه المراحل. وتعدّ مدينة الحلة في العراق منذ القرن السابع حتّى القرن العاشر الهجريّ واحدةً من أكثر المراكز الكلاميّة الشيعيّة تأثيراً وفعاليّة، إذ برز فيها علماء لامعون من أمثال السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، والمحقّق الحليّ (ت ٦٧٦هـ)، والعلامة الحليّ (ت ٧٢٦هـ)، وفخر المحقّقين (ت ٧٧١هـ)، والفاضل المقداد (ت ٨٢٦هـ).

ويُعدّ كتاب (تحصيل النجاة في أصول الدين) من المؤلّفات الكلاميّة المهمة التي ألّفها فخر المحقّقين محمّد بن الحسن بن المطهر الحليّ في مدرسة الحلة تلك، ونرجو أن يكون تحقيقه خطوةً نحو تبين تراث الحلة وفكرها الكلاميّ للعلماء والمحقّقين.

ترجمة المصنّف

حياته

اسمه محمّد، كنيته أبو طالب، اشتهر بفخر المحقّقين، ويعرف أيضاً بفخر

الدين وفخر الإسلام. وهو ابن العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ ابن المطهر الحليّ، الغنيّ عن تعريف وتوصيف.
وُلد في منتصف ليلة الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ٦٨٢هـ في الحلة (في العراق).

من تفاصيل حياته التي وصلت إلينا أنّه سافر مع والده في أيام شبابه إلى إيران، ثم عاد إلى الحلة^(١). وبعد وفاة والده اضطرّ بسبب العداوات والأحقاد - كما يذكر هو في حاشية كتاب (الألفين) - للهجرة عن وطنه والسكن في نواحي أذربيجان مدة^(٢).

وتُوفيّ في ليلة الجمعة الخامسة عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧١ هـ، عن عمر يناهز ٨٩ سنة.

ويوجد اختلاف بين المحققين حول مكان دفنه، فقد قال الشيخ عبد الله المامقانيّ: «ولم أقف على من عيّن مدفنه، والمنقول على لسان المشايخ أنّه صار

(١) فخر الدين محمد: ٣٤.

(٢) كتاب الألفين: ١/ ١٩٨: «(يقول) محمد بن الحسن ابن المطهر: حيث وصلتُ في ترتيب هذا الكتاب وتبينه إلى هذا الدليل في حادي عشر جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين وسبعمئة بحدود آذربايجان خطر لي أنّ هذا خطابي لا يصلح في المسائل البرهانية فتوقّفت في كتابته، فرأيت والدي عليه الرحمة تلك الليلة في المنام وقد سلاني السلوان وصالحني الأحزان فبكيت بكاءً شديداً وشكوتُ إليه من قلة المساعد وكثرة المعاند وهجر الإخوان وكثرة العدوان وتواتر الكذب والبهتان، حتى أوجب ذلك لي جلاء عن الأوطان، والهرب إلى أراضي آذربايجان، فقال لي: اقطع خطابك، فقد قطعت نياط قلبي ...»

أَكِيل السَّبَاع لِقَضِيَّة تنقل لا أَسْتَحْسِن نقلها للإِزراء بمعاصريه»^(١)، ولكنَّ المحدث القمِّي نَقَلَ أَنَّ بعضَ المجاميعِ المعتبرة ذكرتْ أَنَّ الشهيد الأوَّل قد زار قبرَ فخر المحقِّقين، وقال: «أَنْقُلُ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، بِنَقْلِ عَنْ وَالِدِهِ...» ثُمَّ ذَكَرَ رَوَايَةَ فِي مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ^(٢)، وَهَذَا يُنَافِي مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الْمَاقِنِي، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَبْرَ فخر المحقِّقين كَانَ مَعْرُوفًا وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ مَجْهُولًا بِمَرُورِ الزَّمَانِ. وَأَيْضًا - كَمَا يَشِيرُ الْمُحَدِّثُ الْقَمِّي - يَتَّضِحُ مِنْ كَلَامِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ الْمَجْلِسِيِّ فِي كِتَابِ (لَوَاعِمِ صَاحِبِ قُرَانِي) أَنَّ قَبْرَ فخر المحقِّقين نُقِلَ كَقَبْرِ أَبِيهِ مِنْ مَدْفَنِهِ الْأَوَّلِ - وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ فِي الْحَلَّةِ - إِلَى النِّجَفِ الْأَشْرَفِ^(٣).

دراسته ومقامه العلمي

أَقْبَلَ فِي صَغَرِهِ عَلَى تَعَلُّمِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَبِيهِ، وَقَدْ اكْتَسَبَ هَذِهِ الْعُلُومَ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَسْتَاذٌ غَيْرُهُ^(٤). هُوَ نَفْسُهُ يَذْكُرُ: «إِنِّي لَمَّا اشْتَغَلْتُ عَلَى وَالِدِي عليه السلام فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ أَصْحَابِنَا...»^(٥). كَانَ لَدَيْهِ مِنَ النُّبُوغِ وَالْمَوْهَلَاتِ مَا مَكَّنَهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْاجْتِهَادِ فِي سَنٍّ مُبَكَّرَةٍ، فَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي نُورُ اللَّهِ التَّسْتَرِّيُّ عَنْ حَافِظِ أَبْرُو الشَّافِعِيِّ قَوْلَهُ: «لَمَّا

(١) تنقيح المقال في علم الرجال: ١٠٦/٣.

(٢) الفوائد الرضوية: ٧٧٣/٣.

(٣) لوامع صاحب قراني: ٥٣١/٢.

(٤) فخر الدين محمد: ٣٤.

(٥) إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد: ٩/١.

قَدِمَ مع والده إلى حضرة خدابنده، كان شاباً عالماً كبيراً مؤهلاً حسن الأخلاق، مرضي الخصال، نال من والده العظيم التربية اللازمة، وقد تلاماً على غرته - وهو في العاشرة - نور الاجتهاد^(١).

تأثر فكرُ فخر المحققين بفكر والده، وفي الوقت نفسه كانت لديه آراؤه الخاصة، حتى أنه كان سبياً - كما ينقل - في تغيير رأي والده في بعض المسائل^(٢).

رأي العلماء في فخر المحققين

حاز فخر المحققين على مكانة رفيعة عند أبيه العلامة الحلّي، فقد أحبه

(١) مجالس المؤمنين: ٢ / ٣٦٢ - ٣٦٣. وتجدد الإشارة إلى أنّ بعض المحققين قد شكّك في بلوغ فخر المحققين مرحلة الاجتهاد في سنّ العاشرة، لكن نتيجة تحقيقاتهم كانت أنّه قد بلغ مرحلة الاجتهاد في عمر السادسة عشرة (فخر الدين محمد: ٣٤). ولا يخفى أنّه حتّى إن كان هذا الرأي صحيحاً فما يزال حاكياً عن نبوغه واستعداده الذي مكّنه من نيل هذه الدرجة العلمية في حداثة السن.

(٢) نقل صاحب (الروضات) عن المحدث الجزائري أنّه أورد هذه الحكاية في شرحه على (تهذيب الحديث): «حكى بعض أهل الشروح أنّ شيخنا العلامة وولده فخر المحققين كانا مع السلطان (خدابنده) مصاحبين له في الأسفار والأحضر، وكان ذلك السلطان يتوصّأ للصلاة قبل وقتها، ومضى عليه زمان على هذه الحالة. فدخل عليه العلامة يوماً فسأله، فقال: أعدّ كلّ صلاة صليتها على ذلك النوال. فلمّا خرج من عنده دخل عليه فخر المحققين فسأله أيضاً عن تلك المسألة، فقال له: أعدّ صلاة واحدة، وهو أوّل صلاتك على ذلك الحال، وذلك أنّك لما توصّأت لها قبل دخول وقتها وصليتها بعد دخوله كانت فاسدة، فصارت ذمّتك مشغولة بتلك الصلاة، فكلّما توصّأت بعد تلك الصلاة كان وضوءك صحيحاً بقصد استباحة الصلاة، لأنّ ذمّتك مشغولة بحسب نفس الأمر. ففرح بذلك السلطان، فأخبر العلامة ﷺ بقول ولده فاستحسنه ورجع عن قوله إلى قول فخر المحققين». (روضات الجنّات: ٦ / ٣١٦).

العلامة حباً جماً، وكان يعدّه أحبّ إنسان لديه. يقول العلامة في كتاب (تذكرة الفقهاء): «وقد عزمنا في هذا الكتاب الموسوم بتذكرة الفقهاء على تلخيص فتاوى العلماء ... إجابةً لالتماس أحبّ الخلق إليّ، وأعزّهم عليّ، ولدي محمد أمدّه الله تعالى بالسعادات، ووفّقه لجميع الخيرات و أيّده بالتوفيق، و سلك به نهج التحقيق، و رزقه كلّ خير، و دفع عنه كلّ شر، و آتاه عمراً مديداً سعيداً، و عيشاً هنيئاً رغيداً، و وقاه الله كلّ محذور، و جعلني فداءه في جميع الأمور»^(١).

كان فخر المحقّقين كثير البرّ والطاعة لأبيه، وقد نال كامل رضاه. فقد ذكر العلامة الحليّ في كتاب (الألفين): «أمّا بعد: فإنّ أضعف عباد الله تعالى الحسن بن يوسف بن المطهر الحليّ يقول: أجبت سؤال ولدي العزيز عليّ محمد - أصلح الله له أمر داريه كما هو بارّ بوالديه، و رزقه أسباب السعادات الدنيويّة والأخرويّة كما أطاعني في استعمال قواه العقليّة والحسيّة، وأسعفه ببلوغ آماله كما أَرْضاني بأقواله وأفعاله، وجمع له بين الرئاستين كما لم يعصني طرفه عين - من إِملاء هذا الكتاب»^(٢).

وفضلاً عن البعد الأخلاقيّ، كان فخر المحقّقين في نظر والده يتمتّع بمكانة علميّة عالية إلى درجة أنّ العلامة كتب في وصيّته يطلب منه إكمال غير التامّ من مؤلّفاته بعد وفاته، ورفع ما وقع فيها من إشكالات: «وكلّ كتاب

(١) تذكرة الفقهاء: ٤ / ١.

(٢) الألفين: ٤٤ / ١.

صَنَّفَتْهُ وَحَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِهِ قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَكْمَلَهُ وَأَصْلَحَ مَا تَجَدَّه مِنَ الْخُلَلِ وَالنَّقْصَانِ وَالْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ. هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(١).

وَقَدْ أَثْنَى سَائِرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى فَخْرِ الْمَحْقِقِينَ، مِنْهُمْ تَلْمِيزُهُ الْمُتَمَيِّزَ الشَّهِيدَ الْأَوَّلَ (ت ٧٨٦ هـ) - مَعَ عَدَمِ مَعْهُودِيَّةِ الْمُبَالَغَةِ مِنْهُ وَالتَّأَكُّدِ فِي مَقَامِ التَّرْكِيَةِ وَالتَّمْجِيدِ - حَيْثُ كَتَبَ فِي إِجَازَتِهِ لِابْنِ نَجْدَةَ: «وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْإِمَامُ سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ وَمُنْتَهَى الْفَضْلَاءِ وَالنَّبَلَاءِ، خَاتِمَةُ الْمُجْتَهِدِينَ فَخْرُ الْمِلَّةِ وَالِدِينَ، أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ السَّعِيدِ، جَمَالُ الدِّينِ بْنِ الْمُطَهَّرِ، مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِهِ مَدًّا وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَادِثَاتِ سَدًّا»^(٢).

وَالسَّيِّدُ حَيْدَرُ الْأَمَلِيِّ (ق ٨)، تَلْمِيزٌ مُتَمَيِّزٌ آخَرٌ لِفَخْرِ الْمَحْقِقِينَ يَكْثُرُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ: «جَنَابُ الشَّيْخِ الْأَعْظَمِ، سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِ، مَفْخَرُ الْعَرَبِ وَالْعِجَمِ، قُدْوَةُ الْمَحْقِقِينَ، مُقْتَدَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، أَفْضَلُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالمُتَقَدِّمِينَ، الْمُخْصِصُ بِعِنَايَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ فِي الْمِلَّةِ وَالْحَقُّ وَالِدِينَ، ابْنُ الْمُطَهَّرِ، مَدَّ اللَّهُ ظِلَالُ أَفْضَالِهِ وَشَيَّدَ أَرْكَانَ الدِّينِ بِبَقَائِهِ»^(٣).

وَيَكْتُبُ ابْنُ الْفَوَاطِي الْحَنْبَلِيُّ^(٤) (ت ٧٢٣ هـ) الْمَعَاصِرَ لِفَخْرِ الْمَحْقِقِينَ عَنْهُ

(١) قواعد الأحكام: ٣/ ٧١٧.

(٢) روضات الجنّات: ٦/ ٣٠٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ٢٠/ ٤٠٢.

(٤) على ما هو المعروف من مذهبه، وإن كان فيه خلاف بين المحققين. يُنظر: دائرة المعارف الإسلامية

الكبرى: ٣/ ٦٦٨.

قائلاً: «فخر الدين أبو الفضائل محمد بن جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر الأسدي الحلبي، الفقيه الحكيم الأصولي... وهو كريم الأخلاق فصيح العبارة مليح الإشارة... وله ذهن حاد، وخاطر نقاد، وفخر الدين ذو الفخر الفخم والعلم الجَمِّ والنفس الأبيّة والهمّة العليّة، وحصل بيني وبينه أنس ووعدي»^(١).

ويصفه ابن أبي جمهور الأحسائي (ق ٩) بهذا الوصف: «أستاذ الكلّ، الشيخ العلامة والبحر القمقام، فخر الدين»^(٢).

ويقول القاضي نور الله التستري (ت ١٠١٩ هـ): «فخر آل المطهر، والخال في جمال والده العالم الأكبر، كان محرراً نحريراً في العلوم العقلية والنقلية، وفي علوّ الفهم وطهارة الفطرة ليس له نظير»^(٣).

ويكتب التفرشي (ت ١٠٤٤ هـ) عنه في كتاب (نقد الرجال): «وجه من وجوه هذه الطائفة وثقاتها وفقهائها، جليل القدر عظيم المنزلة رفيع الشأن، حاله في علوّ قدره وسموّ مرتبته وكثيرة علومه أشهر من أن يذكر»^(٤).

والشيخ الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ) يمدحه في كتاب (أمل الآمل) بالقول: «كان فاضلاً محققاً فقيهاً ثقةً جليلاً يروي عن أبيه العلامة وغيره»^(٥).

(١) مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٣/ ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) عوالي اللآلي العزيزية: ٦/ ١.

(٣) مجالس المؤمنين: ٣٦٢/ ٢.

(٤) نقد الرجال: ٤/ ١٨٣.

(٥) أمل الآمل: ٢/ ٢٦١.

والشيخ عباس القميّ (ت ١٣٥٩ هـ) يكتب في وَصْفِهِ: «العالم المحقّق، النّقّاد المدقّق، المؤيّد المسدّد، وحيد عصره وفريد دهره، وجه من وجوه هذه الطائفة وثقاتها وشيخ الأئمة وفتاها، جليل القدر عظيم المنزلة والشأن، سقى الله ثراه ينابيع الرضوان»^(١).

تلامذته

على الرغم من أنّ فخر المحقّقين قد درّس عند أستاذ واحد - وهو أبوه - لكنّه ربّى ودرّس كثيراً من التلامذة، منهم^(٢):

- * السيد حيدر بن عليّ الآمليّ (ت ٧٨٢ هـ).
- * ظهير الدين محمّد، ابنه الذي توفّي في حياة أبيه.
- * السيد عليّ بن غياث الدين عبد الكريم النيليّ النجفيّ (ت ٨٠١ هـ).
- * الفاضل المحدث بدر الدين حسن بن نجم الدين المدنيّ (ق ٨).
- * فخر الدين أحمد بن عبد الله، المعروف بابن المتوجّج البحرانيّ (ت ٨٢٠ هـ)
- * السيد محمّد بن القاسم بن الحسن بن معيّة الحلّيّ الحسنيّ (ت ٧٧٦ هـ).
- * الشيخ محمّد بن جمال الدين المكّيّ العامليّ، المعروف بالشهيد الأوّل (ت ٧٨٦ هـ).

(١) الفوائد الرضويّة: ٧٦٨/٢.

(٢) أعيان الشيعة: ٢٤١/٦؛ إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد: مقدّمة المحقّقين، ١٤؛ معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين: مقدّمة المحقّق، ١٣ - ١٤.

* السيد ناصر الدين حمزة بن حمزة محمد العلويّ الحسينيّ (ق ٨).

آثاره العلمية

لفخر المحققين آثار ومؤلفات متعدّدة، كثير منها شروح وتعليقات على مؤلّفات والده، فمن جملة آثاره^(١):

- * أجوبة المسائل الحيدريّة
- * إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد
- * تحصيل النجاة في أصول الدين (هذا الكتاب)
- * ثلاث وأربعون حديثاً نبوياً
- * جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد
- * حاشية إرشاد الأذهان
- * حاشية القواعد
- * رسالة إرشاد المسترشدين وهداية الطالبين في أصول الدين
- * الرسالة الفخرية في معرفة النية
- * شرح مبادئ الأصول
- * غاية السؤل في شرح تهذيب الوصول
- * الكافية الوافية في الكلام

(١) فهرس التراث: ٧٣٢ / ١ - ٧٣٣؛ موسوعة طبقات الفقهاء: ٨ / ١٩٢؛ الذريعة إلى تصانيف

* معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين

* مناسك الحجّ

* منبع الأسرار

حول هذا الكتاب

إنّ كتاب (تحصيل النجاة في أصول الدين) هو أحد مؤلفات فخر المحققين في علم الكلام^(١)، كتبه لتلميذه السيد ناصر الدين حمزة بن حمزة العلويّ. وتشير بعض الأدلّة إلى أنّ هذا الكتاب قد أُلّف بين سنة ٧٢٦ هـ وسنة ٧٣٦ هـ، لأنّه من جهة استعمل فيه تعبيرات من قبيل: «وقد استدللّ والدي قدّس الله روحه...»، التي تدلّ على أنّ تاريخ كتابته كان بعد وفاة العلامة الحليّ - يعني بعد سنة ٧٢٦ هـ - ومن جهة أخرى فإنّ فخر المحققين قد كتب على ظهر الورقة الأولى من النسخة المعتمدة عليها في هذا التحقيق إجازة رواية لحمزة بن حمزة العلويّ سنة ٧٣٦ هـ، لذا فإنّنا نستنتج أنّ تأليف الكتاب كان قبل هذا التاريخ.

ويبدو أنّ المصنّف كان قصّد تأليف كتاب مشتمل على مباحث في أصول الدين وفروعه، كما يذكر هو في مقدّمته، وكما يأتي بعنوان: «الكتاب الأوّل: في الأصول» بعد المقدّمة، ولكن هذا الأثر الموجود بين أيدينا لا يشتمل على بحث في فروع الدين، ولا نعلم هل كتب المصنّف ما رام تأليفه في فروع الدين أو لم يوفّق لذلك.

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٩٨؛ ريجانة الأدب: ٤/ ٣٠٩.

يحتوي الكتاب على مقدمة من فصلين وعلى خمسة أصول. يختصّ فصلاً المقدمة بالمباحث المتعلقة بالنظر، وتقسيم الوجود الى الممكن والواجب، وحدوث العالم، وإبطال الدور والتسلسل.

ويرتبط الأصل الأوّل بمباحث التوحيد، ويختصّ الأصل الثاني بمباحث العدل، والأصل الثالث بمباحث النبوة، والأصل الرابع بالإمامة، والأصل الخامس بمباحث الوعد والوعيد.

ومن بين هذه الأصول الخمسة يختصّ بحث الإمامة بالحجم الأكبر من الكتاب، أي الثلثين تقريباً. والاعتماد الأساسي لفخر المحققين في المباحث المتعلقة بالإمامة على إثبات إمامة الأئمة عليهم السلام عن طريق الاستشهاد بكراماتهم. ومن هذا المنطلق تشكّل المصادر الروائية التي تحتوي على كرامات أهل البيت عليهم السلام المصدر الأساسي المعتمد لديه في كتابه. وتجدر الإشارة إلى أنّ أغلب اعتماد فخر المحققين من بين المصادر الروائية كان على كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمة)^(١) لمؤلفه عليّ بن عيسى الإربليّ (ت ٦٩٢هـ)، لأنّ ألفاظ الروايات التي نقلها فخر المحققين تشبه إلى حدّ كبير الروايات المشابهة لها في (كشف الغمّة)، إلى حدّ أنّ بعض الروايات الناقصة المذكورة في (كشف الغمّة) وردت كما هي بنواقصها في هذا الكتاب.^(٢)

(١) أو على المصادر التي استفيد منها في كتاب (كشف الغمّة) بشكل خاصّ.

(٢) على سبيل المثال، يتقل فخر المحققين رواية ضمن معجزات الإمام الباقر عليه السلام، وهي «مرّ زيد بن عليّ بن الحسين بأبي جعفر، فقال أبو جعفر: أما والله ليخرجنّ بالكوفة وليقتلنّ وليطاف برأسه،

حتى الآن وجدت نسخة واحدة فقط من كتاب (تحصيل النجاة في أصول الدين) المحفوظة في مكتبة جامعة طهران برقم ١٧٧١، وقد ابتنى تحقيقنا عليها. هذه النسخة قيّمة جداً، لأنّ فخر المحقّقين كتب على ظهر الورقة الأولى بخطّه إجازة رواية لحمزة بن حمزة العلويّ (سذكرها فيما يلي)، وذكر فيها أن الكتاب قرئ عليه «من أوله إلى آخره، قراءةً بحثٍ وتحقيقٍ ونظرٍ وتدقيقٍ».

ثم أتى به فنصب في ذلك الموضع على قصة، فتعجّبنا من القصة وليس بالمدينة قصب يأتونها. إذا تأملنا في الرواية نشعر أنّ فيها نقصاً وإهماً: أولاً، كان المتوقّع بعد نقل تنبؤ الإمام عليه السلام أن يقوم الراوي ببيان تحقّق تنبؤ الإمام عليه السلام كما قاله عليه السلام، يعني مثلاً أن يقول: خرج زيد بالكوفة فقتل وطيف برأسه. ولكننا نرى أنّه قد بين أمراً آخر لم يردّ في تنبؤ الإمام الباقر عليه السلام، وهو أنّه أتى به فنصب في ذلك الموضع على قصة. ولذلك لا نرى تطابقاً كاملاً بين تنبؤ الإمام وما نقله الراوي.

وثانياً، أنّه لا نعلم ما هو دافع وهدف الراوي من نقل تعجّبه لنصب رأس زيد على القصة. وإذا عدنا إلى مصادر الحديث الموجودة نرى التفاصيل التي نقلها المصنّف في هذه الرواية موجودة في رواية شبيهة لها في كتاب (كشف الغمّة) وفي كتاب (الخرائج والجرائح) مع اختلاف أن رواية (كشف الغمّة) تشبه كثيراً الرواية التي نقلها المصنّف وعليها الإبهامات والإشكالات نفسها: «وَبِالإِسْنَادِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ فَمَرَّ بِنَا زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمَا وَاللَّهِ لَيُخْرِجَنَّ بِالْكُوفَةِ وَلَيُقَتِّلَنَّ وَلَيُطَافَنَّ بِرَأْسِهِ ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ فَنُصَبَّ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى قَصَبَةٍ فَتَعَجَّبْنَا مِنْ الْقَصَبَةِ وَلَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ قَصَبٌ أَتَوْا بِهَا مَعَهُمْ» (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ١٣٧/٢). أمّا في كتاب (الخرائج والجرائح) نقلت الرواية بشكل أكمل خالية من الإبهامات والإشكالات التي أشرنا إليها: «وَمِنْهَا: مَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَمَرَّ بِنَا زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَمَا وَاللَّهِ لَيُخْرِجَنَّ بِالْكُوفَةِ وَلَيُقَتِّلَنَّ وَلَيُطَافَنَّ بِرَأْسِهِ ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ فَيُنْصَبُ عَلَى قَصَبَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ - وَأَشَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ - قَالَ [محمد بن أبي حازم]: سَمِعْتُ أَذُنَايَ مِنْهُ ثُمَّ رَأَتْ عَيْنَايَ بَعْدَ ذَلِكَ فَبَلَّغْنَا خُرُوجَهُ وَقَتْلَهُ ثُمَّ مَكَّنَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فَرَأَيْنَا يُطَافُ بِرَأْسِهِ فَنُصَبَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى قَصَبَةٍ فَتَعَجَّبْنَا». إنّ أتباع المصنّف لنقل كتاب (كشف الغمّة) حتّى في هكذا مورد يدلّ على اعتماده الكثير عليه (أو على المصدر الذي يستفيد منه كشف الغمّة بشكل خاص).

ومكتوب في بداية المخطوطة: «كتاب تحصيل النجاة، تصنيف أفضل المتقدمين والمتأخرين، فخر الملة والحق والدين محمد بن جمال الملة والحق والدين حسن بن المطهر قدس الله روحهما، كه در حضرت فخر المحققين قرائت شده وبه حمزة بن حمزة بن محمد علوي كه اين كتاب براي او تصنيف شده اجازه در ظهر آن به خط مبارك خود مرقوم فرموده^(١)، فلا يخفى عزه وفضله وشرفه».

والإجازة المشار إليها مكتوبة على ظهر الورقة الأولى، مصدره بالعبارة التالية: «كتاب تحصيل النجاة في أصول [الدين] تصنيف الشيخ الإمام العالم العامل أفضل المتقدمين والمتأخرين لسان الحكماء والمتكلمين شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين فخر الملة والحق والدين محمد بن المولى الشيخ العالم المحقق كاشف الحقائق مبيّن الدقائق شيخ الشيعة معدن الشريعة جمال الملة والحق والدين حسن بن المطهر دام ظلّه». ويتلوها متن إجازة فخر المحققين بخطه، ونصّها: «قرأ عليّ مولانا السيّد المعظم ملك السادة ناصر الملة والدين حمزة بن حمزة بن محمد العلويّ الحسينيّ - المصنّف له هذا الكتاب - هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، قراءة بحث وتحقيق ونظر وتدقيق. وقد أجزت له رواية هذا الكتاب عني وكذا أجزت له رواية جميع ما صنّفته وألفته ورويته، وأجز لي روايته. وكذا أجزت له أن يروي عني جميع مصنّفات والديّ عليه السلام، وأجزت له

(١) ترجمة العبارة الفارسية: «الذي قرئ بحضور فخر المحققين، وكتب على ظهرها بخطه المبارك إجازة لحمزة بن حمزة بن محمد العلويّ المصنّف له هذا الكتاب».

رواية مصنفات الشيخ السعيد نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد طاب ثراه عني عن والدي عنه. وكذا أجزت له رواية جميع مصنفات كتب أصحابنا الفقهاء المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين. وكتب محمد بن الحسن بن يوسف بن عليّ ابن المطهر الحليّ في سابع عشرين رجب المبارك لسنة ستّ وثلاثين وسبعمائة، والحمد لله وحده وصلى الله على سيّدنا محمد النبيّ...».

وفي الخاتمة أيضاً كتب بخطّه: «أنها أيّده الله تعالى قراءةً وبحثاً وفهماً وضبطاً واستشراحاً، وذلك في مجالس آخرها سابع عشرين رجب سنة ستّ وثلاثين وسبعمئة». وجاء أيضاً في تعليق آخر في نهاية الكتاب: «بلغت المقابلة بنسخة الأصل بخطّ المصنّف في المشهد المقدّس الغرويّ صلوات الله على مشرّفها في تاريخ سنة ستّ وثلاثين وسبعمئة هجرية».

أمّا بالنسبة لكاتب هذه النسخة، فقد جاء في نهاية النصّ أنّه «فرغ من نسختها أضعف عباد الله تعالى عبد الكريم بن محمد بن الأعرج الحسينيّ بالخرقة الشريفة الغرويّة صلوات الله على مشرّفها في آخر نهار السبت رابع عشرين رجب المبارك من سنة ستّ وثلاثين وسبعمئة، والحمد لله وحده»، وعلى هذا الأساس فإنّ الكاتب هو عبد الكريم بن محمد بن الأعرج الحسينيّ، وهو أحد أبناء أخت العلامة الحليّ، ولكننا بالنظر الإجماليّ إلى هذه النسخة نلاحظ بوضوح خطوطاً متعدّدة تدلّ على أنّ عدّة أشخاص قد أسهموا في كتابتها على

الرغم من عدم ذكر أسمائهم.^(١)

عملنا في التحقيق

بما أنه لم يتم العثور على نسخة أخرى من كتاب (تحصيل النجاة) فقد أنجز هذا التحقيق بناءً على المخطوطة الفريدة التي مرّ ذكرها. وسبب هذا الأمر صعوبةً في إنجاز التحقيق، لأنه في كثير من المواضع كانت عبارات المخطوطة إما محوّة أو غير قابلة للقراءة بسهولة. ولقد سعينا جاهدين إلى أن نقرأ هذه العبارات، ولكن لم نوفّق لذلك في بعض المواضع. وفي الحالات التي لم نستطع قراءة عبارات المصنّف حتّى مع التخمين، وضعنا علامة (...)، ثم أوردنا في الحاشية عدد الكلمات التي تعدّرت علينا قراءتها. وفي الحالات التي استطعنا تخمين عبارات المصنّف، وضعنا علامة [؟] بعد الكلمة التي خمنّاها. واضطررنا في قليل من الحالات - ومن أجل إتمام المعنى - أن نضيف بعض العبارات إلى النصّ، ووضعناها بين [] لكي نميّزها عن عبارات المصنّف.

ومن أجل أن يكون النصّ سهلاً وواضحاً للقراءة، استخدمنا التشكيل في

(١) ومن هنا ينحصر سؤال: هل النسخة التي قرئت على فخر المحقّقين هي النسخة نفسها التي الآن بين أيدينا التي نسّخها عدّة كتّاب؟ ما يضعف هذا الاحتمال هو وجود أخطاء كثيرة في هذه النسخة تجعل الاعتقاد بكونها مقروءة على فخر المحقّقين صعباً.

ويمكن هنا طرح احتمالات مختلفة من جملتها أن عبد الكريم بن محمّد بن الأعرج كان قد كتب نسخة وعرضها على فخر المحقّقين، ولكن تضرّرت أقسام منها فيما بعد، فاضطرّ كتّاب آخر أن يكتبوا هذه الأقسام مجدّداً. نترك التحقيق الأكثر في هذا المجال إلى فرصة أخرى.

بعض الموارد، التنقيط، وتقسيم النصّ الى فقرٍ مختلفة.

وبما أنّ هذا التحقيق أنجز على أساس نسخة واحدة نفيسة كنّا كلّما قمنا بتغيير أو تصحيحٍ أشرنا الى العبارة الأصلية في الحاشية، ولكن قمنا بغضّ النظر عن التغييرات المتعلقة بأسلوب الكتابة.

في بعض الحالات استخدم المصنّف الحروف الألفبائية لترقيم، فقمنا بإبدال بعض هذه الموارد الى أعداد مثل: الأوّل، الثاني و... .

وحاولنا أن نجد على الأقلّ ثلاثة أو أربعة مصادر لكلّ رواية وحديث من المصادر المتقدّمة على فخر المحقّقين، وأن نضع هذه المصادر في الحاشية منظّمة حسب تاريخ وفاة مؤلّفيها.

وفي مواضع قليلة جداً قمنا بشرح مقصود المصنّف في الحاشية، واستعنا بأقوال المتكلّمين والفلاسفة.

وفي الختام، أودّ أن أشكر كلّ من أعانني على تحقيق هذا الكتاب، بالخصوص الإخوة في مركز العلامة الحليّ التابع للعتبة الحسينيّة المقدّسة سماحة الشيخ قيس العطار، وسماحة الشيخ عبد الحليم الحليّ، وسماحة السيّد إياد الشريفيّ، وجناب الدكتور عبّاس هاني الجراخ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حامد فياضي

١٢ شوال ١٤٣٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِجَبِّ الْجُودِ لِنِزَانِهِ الدَّالِّ عَلَى قُدْرَتِهِ
 لِحَدِّثِ مَنُوعَاتِهِ الْمُبَرِّجَةِ عَلَى عَالَمِهِ لِإِحْكَامِ مَخْلُوقَاتِهِ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ الْمُعَصَّيْمِينَ
 لِمَسَاجِدِهِ هَذَا كِتَابُ تَحْقِيقِ النِّجَاتِ وَاصْرَافِ الْعُكُوفِ
 وَفَرْقَةِ ضَعْفَةِ خَلْقِهِ لِلتَّوَكُّلِ وَالْعَطَرِ الشَّوْقِ
 لِلْمَكْرَمَةِ سَلَامُهُ إِلَى الْعَبِيدِ خُصَّ بِأَعْيَانِهِ الْعَالَمِينَ
 الَّذِينَ نَصَرُوا لِلْمُسْلِمِينَ وَبَرَّحُوا عَنْ الْفُتُونِ
 الْمُؤْتَمِنِينَ بِمَرْبِهِ مَشْرِيقِيهِ
 تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
 جَعَلَ اللَّهُ ذِكْرَ الْيَوْمِ الْآخِرِ
 الْفَتْحَ الْكَبِيرَ
 وَخَفِيَ لَهَا الْفَتْحُ مَا فَتَحَ بِهِ الْعَالَمِينَ
 النَّصْرُ الْفَتْحُ الْفَتْحُ وَالْفَتْحُ وَالْفَتْحُ
 مِنْ بِلَاحَتِهِ

